المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

# صورة المُجتمع الإسلاميّ في الإعلام

**الدكتوره أسماء الصفايحي**
**المعهد العالي للموضة بالمنستير – تونس**
**Email: hamzazahali@gmail.com**

**الملخص:**

يمكن أن يكون لِسُوء اِستخدام الصّورة أو المعلومة تأثير خطيرعند المتلقّي، فضلاً على الحياة الفكريّة والثّقافية والاِجتماعيّة، وحتّى النّفسيّة بشكل عام؛ وذلك في محاولة لتزيّيف الحقيقة إن لم نقل طمسها أو تغيّيرها وتحميلها معانٍ ودلالات تتعارض مع الواقع وتتلاعب بواجهة صورة المجتمع ككلّ بما في ذلك المجتمع الإسلاميّ.

**الكلمات المفاتيح:** الإعلام، وسائل الإعلام، التّطويع، الصورة، المجتمع الإسلاميّ، المعلومة، المتلقّي.

**Abstract :**

The misuse of the image or information can have a serious impact on the recipient, as well as on the intellectual, cultural, social, and even psychological life in general; This is in an attempt to falsify the truth, if not obliterate it or change it and load it with meanings and connotations that contradict reality and manipulate the facade of the image of society as a whole, including the Islamic community.

**Keywords:** media, media, adaptation, image, Islamic society, information, recipient.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

**المقدمة**

إنّ الوضع الرّاهن الّذي نعيشه في عصرنا هذا جعل من العالم على اِمتداده، قريةً صغيرةً تتناقل أخباره بسرعة البرق، وتتفاعل بالأحداث مهما كان مصدرها في جدليّة هي بين حركيّة الإيجاب والسّلب.

وفي هذه المساحة العريضة من الحقل الإعلاميّ يعيش التّسابق بين الإعلاميّين في تطويع الخبر والدّعاية له أو عليه، فيما يخدم أغراضاً معيّنة وفقاً للمصلحة الّتي تتماشى ورغباتهم، أو ما يرسُمه ويُموّله صاحب مشروعٍ مَا، مهما كان نوعه: سياسيًّا مصيريّاً، أو ثقافيّاً فنّياً، أو اِقتصاديّاً تجاريّاً، إلخ... فيدفعُ سعي العاملين في القطاع قُدُماً لنشر ما يصبُون إليه، وترويجه، للاِستهلاك السّريع، وللحُصُول على أكبر قسط مُمكنٍ من التّأيّيد والتّأثير المُباشر وغير المباشر، على جميع الأصعدة.

فهل يمكن لسوء اِستخدام الصّورة أو المعلومة عبر وسائل الإعلام، أن يكون لها تأثير خطير واِنعكاسات بشكل سلبيّ على الحياة الفكريّة والثّقافية والاِجتماعيّة؟

تبدو مسألة الإعلام مسألة بسيطة لا تعدو أن تكون سوى خَبَراً يُبثّ، ومُتلقياً يَستهلك. ويغفل الكثير من النّاس عن أولئك العاملين وراء السّتار (صانعيّ الخبر)، وما يعكسونه من خُطورةٍ معرفيّة وثقافيّة ذات بال لا يُستهان بها؛ فالغوص في مسألة صورة المجتمع الإسلاميّ في الإعلام تقودنا حتماً إلى ما وراء الخبر و"تطويع الإعلام"، فيما يخدم أغراضاً معيّنة.

**أهمّية البحث**

إنّ الغوص في مسألة "تطويع الإعلام" تقودنا حتماً إلى ما وراء الخبر، وإلى العمليّة النّفسيّة الّتي يُعتَبَر المتلقي بالأساس أسيرها، بل أكثر من ذلك: إنّه ضحيّتها، لكونه الدّمية الطيّعة لِمَن رَوّج له ما عليه أن يستهلكه. وهنا يأتي الهدف الرّئيس في بُعد هذه الدّراسة مُتمثّلاً في كيفيّة تطعيم المتلقي بالوسائل الوقائيّة لتلقيحه ضد كلّ استهلاك سريع يُحبِط مداركه الذّهنيّة.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

**إشكاليّة البحث**

تَكْمُنُ إشكالية الموضُوع في وقعِ تطويع الإعلام المُعاصر لإرساء قناعات، وتحديد اِتّجاهات، وترسيخ مُعتقدات عند الفرد وعند المجتمع بشكل عام، بما في ذلك صورة المجتمع الإسلاميّ، الشيء الّذي ينبني عليه التّواصل البشريّ.

يعُود الإشكال– أساساً– إلى المتلقّي العاديّ المُستهدف الأوّل في حدّ ذاته بالتوجيه، الّذي يرى أنّ ما يُقدّم له من قِبلِ صانعيّ الإعلام كمادّةٍ إعلاميّة اِستهلاكِيّة يُعتبر بالنّسبة إليه "حقيقة " مُسلّماً بها، غير أنّ الواقع قد يكون العكس تماماً.

فما هو الإعلام المُطوّع والموظّف، وما مدى اِنعكاس ذلك على صورة المجتمع الإسلاميّ؟

**التّمهيد**

لا يعدو الإعلام أن يكون سوى صناعة تُطوّع وسائلها لتتأرجح بين المصداقية والتأويل، وينطبق ذلك على سائر بلدان العالم، إلاّ أنّ الّذي يهمّ بالذّات هو انعكاسات تطويع هذه الصّناعة على المجتمع الإسلاميّ.

**المبحث الأوّل: الإعلام**

يستخدم الإعلام اليوم وسائل مُعاصرة عادةً للدّلالة على كلّ ما ينضوي تحت مُؤسّسات البثّ المُتنوّعة، من إذاعات وقنوات فضائيّة وشبكات معلُوماتيّة إلكترونيّة، إلى جانب الدّورِيات المطبُوعة من: صحفٍ، ومجلاّت، ونشريّات، ومطويات، وغيرها... تتّجه كُلّها بالخِطاب إلى الجماهير الواسعةِ الّتي لا تستغني عنها لِتلقّي المعلُومات، والأحداث المُستجدّةِ الّتي تجري خارج نطاق تجربتهم المُباشرة.

ويتمثّل دور وسائل الإعلام المعاصرة في عمليّة نشر المعلومات، أو ترويجها عن طريق قناة اِتّصال مُعيّنة. فتحتلُّ عمليّة إرسال الإشارات، أو العلامات من نوعٍ ما مَوْقعاً مركزياً، عن طريق منظومة منسَّقة، تشكّل وسط اِنتقالها. ومن ثمّ تُشير الفكرة الأساسيّة إلى أنَّ المادَّة الإعلاميّة يُمكن أنْ تتنقّل كوسيلة اِتّصال.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

بالتّالي يمكن تعريف الإعلام بكونه صناعة تُطوّعُ وسائلها؛ لتتأرجح بين المصداقيّة والتّأويل، وهذا ينطبق على سائر بلدان العالم، لكنّ الأهمّ هو مدى اِنعكاسات تطويع هذه الصّناعة على المُجتمعات عامّةً والمُجتمع الإسلاميّ خاصّة.

**فالتطويعُ:**

لغةً: مصدر من طاوع، يُطاوِعُ، أيْ ساير، يُسايِرُ، وجاء ذلك في:

– لسان العرب *(ابن منظور، لسان العرب، مج. ٨، دار صادر، بيروت، لبنان، ط.١، ١٩٩٠م، ص.٢٤٠)* على النحو التّالي: طَوَعَ (فَعَلَ)، وطاوَعَ (فَاعَلَ)، مُطاوعة في الأمر أي وافقه وآتاه سهلاً طائعاً مُنقاداً له.

– ووَرد في المعجم العربيّ الأساسيّ *(تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، ط.١، ١٩٨٩م، ص. ٨٠٢.)*: ط . و . ع: طاع يَطوع طَوْعاً طائع: اِنقادَ، فعل ما أُمِرَ به. وطوّع يطوّعُ تطْويعاً: أخضعه، وجعله يطيع. وطوَّعتْ النّفس: زيّنت، وشجّعتْ، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ *(سورة المائدة: ٣٠)*، وتَطْوِيع: مصدر من طَوَّعَ.

– وجاء في مُعجم المصطلحات العلمية والفنّية *(خيّاط، يوسف، معجم المصطلحات العلميّة والفنّية، عربي فرنسي انجليزي لاتيني، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د. ط.، د.ت.، ص. ٤٢٠ )*: "التّطويع" (Adaptation) مصدر لِـ: طَوَعَ بمعنى تغيير يلحق النهج السائد.

**المطلب الأوّل: تطويع الإعلام**

أمّا في مجال الإعلام، فالتّطويع لا يعدُو أنْ يكون سوى فِعلاً مُمارساً على الآخر لحثّه على تنفيذ برنامجٍ مُعيّنٍ؛ حيث لا تخلُو كلمة التّطويع من إخضاع للآخر والتَّسلُّطِ والإستحواذ، والسَّطو على ملكاته كمُتلقٍ. وقد توسّع "جريماس"(Greimas، و"كورتاي" (Courtés) وهما صاحبا المُعجم المُعَقْلَنْ: (Dictionnaire raisonné de la théorie du langage) في لفظ التّطويع، فعرّفاه بكونه بُنية، أو وضعِية صراعيّة رحبة يتبادلُ فيها طرفا التّواصل (المُرسل، والمُرسل إليه) وجهات نظريْهما.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

*(GREIMAS A.J. & COURTÉS J., Sémiotique Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p.135 – 136.)*

فالإعلام سلاح ذو حدين، وهذا العالَم ليس عالَماً مثالياً خيالياً يعمُّه السّلام والعدالة والمحبَّة، بل إنَّ تضارب المصالح، واِختلافها وتضادِّها يجعل من التَّطويع الإعلاميِّ سلاحاً فعّالاً في الصِّراعات. ويتمُّ ذلك عبر أسلوب القوَّة النَّاعمة، الّتي تؤثر ببطء وعلى المدى الطّويل، دون أن يلاحظها الكثيرون؛ وذلك بغرض تقبُّلِ جرعات التّأثير على الجمهور، واِستيعابها تدريجياً، لِتوجيهه نحو اِستراتيجيّةٍ مُعيَّنةٍ تصِلُ – أحياناً– إلى إحداث اِنقسامٍ بين الجماهير، وإيجاد حالة من التّشتُّت في صُفُوف المُواطنين تُجاه قضايا مُعيّنةٍ.

**المطلب الثاني: أهداف ممارسة التّطويع في الإعلام**

لفهم الغاية من ممارسة التّطويع في الإعلام، وجب التّطرّق إليه من الزّاوية السّيميائيّة، *("السّيميائيّة": علم دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظّمة، ومنتظمة. وكلمة "سيميولوجيا" Sémiologie من الأصل اليوناني "سِيمْيُو" Sémionأو"سِيمَائِّيُو" Sémaino، المتولّدة هي الأخرى من الكلمة "سِيمَا" Sémaوتعني العلامة الدّليل Signe، وهي بالأساس الصّفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل Sens أي المعنى. أمّا لفظة "لوجيا" logie فتعني العِلْم، وبالتّالي فإنّ كلمة "السّيميولوجيا" أو"السِّمْيُوطيقا" من النّاحية اللّغوية فتعني عِلْم العلامات. (برنار، توسان، ما هي السيميولوجيا، ص.٩)*. ونظريّة "المعنى" لفهم وجه العلاقة بين اللّفظ والمضمون؛ فالإنسان لا يُدرك الأشياء ولا يَعي الوقائع باللّفظ فقط، بل من خلال الإطار الّذي يُوضع فيه، وما يرمز به إلى الأشياء. *(آريفيه، ميشال، وآخرون، السّيميائيّة أصولُها وقواعدها، ص.٢١.)*

والعَالَم الخارجيُّ لا يتسرّب إلى الذِّهن إلاّ بِاعتبار المكتسبات الاِجتماعيّة والثّقافيَّة، والممارسات الفرديَّة أو الجماعيّة، ومع ذلك فإنّ اِستبعاد اللّفظ في تعريف العلامة لا يعني نفياً لوجوده، بل إنّ وجودَه مفهومّيٌ لا تعبيريّ. وكذا الشّأن بالنّسبة للعلامة في حدّ ذاتها؛ إذْ ليستْ هي الأخرى مُعطاً خاماً، بل هي بناء معقّد بين ما يُرمز إليه وما تخزّنه الذّاكرة.

ولا يجب –في الأثناء– أنْ يغيب عن الذّهن أنّ التّطويع يتميّز بكونه فِعلاً مُمارساً على الآخر وِفق قناعات اِرتآها صانع التّطويع في مِخياله، قبل أنْ يعمد بثِّها إلى المُتلقِّي.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

وبما أنّ العمليّة في حقيقتها لا تقِلّ عن كونها تواصلٌ يسعى لدفع المُتلقّي إلى الموقف الّذي يرتضيه له الطّرف الآخر، الباث أيْ السّاعي وِفْق تصوّرات مُحدّدةٍ في عمليّة التّطويع فإنَّ "المُطوَّعَ" يجد نفسَهُ بشكلٍ، أو بآخر مُرغماً، ومُنساقاً بطريقةٍ إراديّةً، أو لا إراديّة للاِنصياع ولقبُول، بل ولتنفيذِ المشروع المعرُوض عليه، حيثُ تتِمُّ العمليّةُ وكأنّها ميثاقٌ سرّيٌ مُبرم بالتّراضي بين الطّرفين.

والمُبتغَى في عمليّة التّطويع هو سلب لحُرّية المُتلقّي في التّرَوّي والتّمعُّنِ وحُسن التّمييز، الشّيء الّذي قد يصلُ إلى حدِّ شلل ملَكَةِ التّفكير، وتوجيه الاِختيار التّلقائيِّ عنده، وفي النّهاية السّيطرة على القُدرة الفعليّة الحركيّة لديه. حيث "ينطلِقُ المُطوِّعُ منْ مَوقع سُلطته لإجبار الآخر على الاِمتثال لأوامره طوعاً أوكرهاً" *(الذّاهي، محمد، سيميائيّة التّطويع، ص.١٠٥)*. وهذا أخطر ما يمكن أنْ يصل إليه التّطويع من خلال الرُّؤية السيميائيّة.

**المطلب الثالث: مُقوّمات التّطويع**

لا داعيَ في هذه المحطّة من التّأكيد على ما يُكسِبه الإعلام من نجاعةٍ في مجال التّواصل البشريّ، فذلك أمر مُتّفق فيه، سيّما إذا وُصِفَ بكونه يُحقّق بين أصناف البشر وأجناسهم هدفاً نبيلاً، ويجدر الاِتّجاه الآن نحو أثر التّطويع ومقوماته في المجال الإعلاميّ؛ حيثُ تستعمِلُ وسائل الإعلام أساليب مُتعدّدة، تكمُن في تلك الدّعائم الّتي يرتكز عليها التّطويع الّتي لا تخلو من مُغالطات وتشويه للحقائق، بفاعل التّمويه والمُغالاة والتّلاعب بالأشكال والصّور؛ لتغيّير الواقع حسب ما تدعوه الحاجة، حتّى وإنْ اِقتضى الأمر إلى الغِشّ أو التّزييف. كلّ ذلك على حساب قناعات ورغبات المتلقّي الذّي يُصبح دُمية أو ألعوبة مسلُوبة الإرادةِ تتأرجح بين أنامل من بَرع في صناعة توجيهاتٍ وتأثيرات تتحكّم في المشاعر، وتُسيطر على ملكة الجَلبِ والنّفور، أو الرّفض والقَبُول عند الفرد، وتسعى لصالحها بحرَفيّةٍ وفنٍّ العارفين إلى تحطيم اِستقلاليّة الاِختيار عنده على حساب ما اِستقرّ لديه من اِلتزامات كانت بمثابة العقيدة الرّاسخة، لا حِوَلَ عنها إلاّ بفعل ضَيْم مقوّمات التّطويع الّتي منها:

- **تمويهُ الخبر**: تكون نُقطة الاِرتكاز فيه إيجادُ واقع مزيّف ومغلوط ومقنِع بما فيه الكفاية؛ وذلك بهدف اِيقاع المُتلقي في الخطأ في الوقت الّذي يفكر فيه بشكل صحيح، ومن ذلك توظيف أخبار مغلوطة

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

أو تضخيمها على مستوى الصّورة أو الصّوت أو الكتابة، للوصول إلى أهدافٍ مُحدّدةٍ مُسبقاً، يقصدُ المُطوّعُ إبرازها بكلّ دقّةٍ حسب الآليات المُتاحة لديه *(شفيق، حسنين، التّضليل الإعلامي والغيبوبة المهنيّة، ص.٢٤)*.

- **الضرب على الوتر الحسّاس** *(الدّاهي، م. س.، ص.١١١)*: أو ما يُعبّر عنه بمعرفة "مِنْ أيْنَ تُأْكَلُ الكَتِف"، حيث تكمنُ براعة التّطويع في وضع الإصبع على بيت الدّاء لِاستغلال نقاط الضّعف عند المُتلقّي، وجسّ نبض قابليته للتّصديق أو التّكذيب، إلى جانب اِختبار سذاجته، أو بالأحرى بساطة التّفكير عنده، قصد التّأثير فيه والسّيطرة عليه وتدجينه والتّلاعب به بالدّرجة الّتي تُناسبُ الموقف، وفق قدرة تدبّره واِستيعاب مشاعره واِستعداد ميُولاته ويقظة غرائزه.

- **الحرب النّفسيّة**: تتمَثَّلُ الغاية القُصوى لِلْمُطَوِّع في التّوصُّلِ إلى إيقاع الآخر في فَخِّه، ذلك هو هدفُه الأقصى؛ فالحرب النّفسيّة هي اِستخدام كافَّة الوسائل المتاحة وغير المتاحة وتوظيفها توظيفاً مبرمجا لتشكيك المُتلقي في موقفه وقُدراته وبالتّالي إضعافه ثمّ اِختراقه، وفرض الإرادة عليه لتحقيق أهداف معيّنة مخطّط لها مُسبقاً. ويتمثّل ذلك في شنّ هجوم مبرمج على نفسيّة وعقل المتلقي؛ بغرض إحداث التّفكك والوهن، والاِرتباك فيه وجعله فريسة مخطّطات وأهداف الجهة "صاحبة العلاقة" ممّا يمهّد للسَّيطرة عليه، وتوجيهه الوجهة المقصودة ضدَّ مصلحته الحقيقيّة، أو ضدّ تطلعاته وآماله في التَّنمية، أو الاِستقلال أو الحياد. ولعلّ الفرصة سانحةٌ – هنا – للإفادةِ بأنّ الوسائل الإغرائيّة ليست وليدةَ الصّدفةِ، بل هي مهاراتٌ تُدرّسُ بتقنيات عاليةٍ ومُتطوّرة، وعلى مُستعمِلِها أنْ يستوعِبَها كاملة، لبيان كيفية توظيفها حسب الغاية.

- **الشُّعور بالذّنب**: تكمن قوة التّطويع في دهاء صانع المحتوى الإعلاميّ، الّذي يقود الفرد طواعية نحو الشّعور بالذّنب؛ ليتبادر إلى ذهنه أنّه المسؤول وحده عن إخفاقه، فيدِين نفسه عن جميع إحباطاته إلى درجة يُسيطِرُ فيها هوَسٌ شديدٌ على مشاعره فيتّهم ذاته بقلّة الذّكاء، ويصل به الأمر إلى الإحساس بالاِفتقار إلى مقوّمات الاِرتقاء، لفقدان المُؤهّلات الضّروريّة الّتي تُمكّنه من الصُّعود إلى المُستوى المطلوب لِبُلُوغ الغاية.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

- **إطار المُغالاة:** البراعةُ، كلّ البراعة في هذا المجال تعُود إلى التّلاعبِ بالألفاظ، حيث يتّسِعُ فضاء الإشتقاقات الصّرفيّة، وعلى مِنوالها ضُروب النحتِ، واِحتمالات التّركيب اللّغويّ، ومُستويات التّرجمة والتّعريب، واِختيار العبارات المُنمّقة، والمفردات ذات الشّحنة المعنويّة المُفرطة قصد إيهام المُتلقّي. منْ ذلك اِستعمال ألفاظٍ مُفخّخةٍ، (على نحو إلصاق تُهمةِ الإرهابيّ بالعربيّ)، وكذلك نشر الأكاذيب المُضلّلة، والعبارات المُلتبسة، وبثّ إشاعات مُغرِضةٍ لإحباط عزيمةِ الخصم واِرباك خُططِهِ (وهو ما يحدث عادةً في حالات الحرب أكثر منه في حالة الاِستقرار السّلميّ) .

إنّ التّوجّه السّيء للإعلام يحدُث عندما يُسيطر عليه أصحاب النّفوذ، مهما كان نوعه: سياسيّاً أو اِقتصادِيّاً أو إيديولوجياً؛ فإنّ ذلك يجعل الجهاز الإعلاميّ بأنواعه أداةً مسخّرةً لبثّ رسائل بِغَرَض حَشْد الرّأيّ العام لصالح القضايا الّتي يتبنّاها أصحاب النّفوذ.

**المطلب الرّابع: نتائج التّطويع**

وهُنا تدخل التّقنيات السّيميائيّة، والاِجتهادات الاِبتكاريّة على مُستوى الرّموز، والعلاَمات في عالم تطويع المعلومات، وجعلها سهلةً مستساغة، لدى كافةِ الشّرائح العُمريّة. وفي هذه الحالة تنعدم مصداقيّة ما تبُثّه وسائل الإعلام؛ حيث تكون مُوجّهةً دائماً لصالح وِجهةِ نظر واحدةٍ، هي وِجهة نظر صاحب السُّلطة على هذه الوسائل الإعلاميّة المُطوّرة، والمطواعة لِفرض النّفوذ على الجماهير، ووضع تفسيرات خاصّة بالمُحتوى الإعلاميّ لترويج مصالح الفئات المُسيطرةِ على المُجتمع، وإلهاء النّاس عن قضاياهم الأساسيّة؛ بحثاً عن الحقيقة في خضم تداعيات الواقع الإعلاميّ الّذي يعيشونه مِمّا يُؤدّي حتماً إلى نتائج سلبيّة منها *(طائع، محمد طلعت، تأثير وسائل الاعلام على الفرد والمجتمع بين التوجيه والتّحليل للتّوعية والتّثقيف، كليتريا – kleiteria موقع: www.mkleit.wordpress.com – اطّلت عليه بتاريخ ١٢ / ١٠ /٢٠٢٢)*:

- تدهوُر مُستوى الذّوق الثّقافيّ العام.
- زيادة معدّلات اللاّمبالاة، والميل إلى اِنتهاك القوانين.
- المُساهمة في الاِنهيار الأخلاقيّ العام.
- تشجيع الجماهير على السّطحيّة.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

- قمع القدرة على الإبتكار والتّجديد.
- إشاعة رُوح الإنقسام بين الجماهير، وفصلهم إلى فريقين أو أكثر بهدف تحقيق أهداف الفئة المُسيطرة على وسائل الإعلام.

في هذا الوضع يكون الإعلام مُظلِّلاً، ولا يهدف إلى أيِّ توّعية جماهيريّةٍ؛ فتنتشر حينها الأخبار الكاذبة والغامضة، مِمّا يُوجدُ المجال الخصب لنشر الشّائعات وغسل الأدمغة وترويج أفكار المُتطرّفين.

وحقيقة الأمر، إنّ المُجتمع مُستهدفٌ من قِبلِ الإعلام المُطوَّع الذّي يتعاملُ معه على اِعتبار شريحتين من المجتمع:

- إحداهُما مرنةٌ، مِطواعة، تتميّز بدرجة وعيٍ مُنخفضة، ما يجعلُها سهلة عاطفياً في التّطويع، وهي الأكبر من حيث العدد.
- والثّانية واعية، ذاتُ قناعات مُكتسبةٌ مُسبقاً، تجعلُها مُستعصيةَ التّطويع، وهي الّتي تُشكّل الأقلّية.

وخُلاصة القول أنّه يجبُ على المشاهِد أو القَارئ أو المُستمِع أن يعي جيِّدًا أنَّ ما يُعرض في وسائِل الإعلام ليس دائماً صحيحاً، أو من المسلَّمات، بل يَجب التّدبُّر وإعمال العَقل، تحليلاً وتمحيصاً بناءً على قواعد المنطق السّليم؛ لتفسير الأخبار والتّثبُّت في منبعِ المعلومات المُتدفِقةِ من مُختلف وسائل الإعلام.

الآن، وبعد التّعرّض إلى نتائج تأثير تطويع وسائل الإعلام على المُتلقّي، ومُقوّمات التّطويع، وما لها من أهميّة مزدوجةٍ عند الباث، وتأثير على المُتلقّي بنسبٍ مُتفاوتة، وذلك حسب نوع الوسيلة الإعلاميّة ونجاعتها وحسب هيئة ومركز المُستقبل للرّسالة الإعلاميّة واِستعداداته النّفسيّة والمزاجيّة وكذلك الذّهنيّة بالأساس، فضلاً عن جِنسه وسنّه، وأيضاً حسب أنواع الإيديُولُوجيات، والمبادئ الّتي يُراد بثّها، وكلّ ذلك يدخل في حُسبان المُطوِّعُ الإعلامِيُّ ووضعيته. الآن إذن يجدُر التّطرّق إلى اِنعكاسات التَطوِيع في وسائل الإعلام المُعاصرة على الهُوِيّة الإسلاميّة.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

إنّ تأثير وسائل الإعلام في بعض الأحيان يكون قويّاً جداً، وقادراً على نشر نمط سُلُوكيّ، وثقافيّ، واِجتماعيّ ينتهجه – في الآن ذاته– الفرد والمُجتمع؛ فالتّطويع المُستعمل من قبل وسائل الإعلام غير مرئيّ، ولكنَّ نتائجه خطيرة وطويلة المدى، وفي غالبيّة الأحيان لا يمكن العودة إلى الوراء لترميم ما تمّ إتلافه من قناعات في ذهن المُتلقّي والرّأي العام، إمّا بتأثيرٍ لحظّي أو تراكميّ. ومن هذا المنطلق يُعدُّ منَ المُستحسَنِ التّطرّق إلى بيان أثر التّطويع الإعلاميّ على صورة المُجتمع الإسلاميّ.

## المبحث الثاني: صورة المُجتمع الإسلاميّ المُروّجة عبر وسائلُ الإعلام

يتميّز المُجتمع الإسلاميّ –كَكُلِّ المُجتمعات في العَالَمِ – بِهُويّةٍ خاصّة وبِقيمٍ ثابتةٍ، اِستوجبتْ المحافظة عليها، منها: الدّينيّة واللُّغويّة والفنّية الاِبداعيّة وغيرها...

وكما هو معلُوم بالضّرورةِ أنَّ لكُلِّ مجتمع قواعده وقوانينه الّتي يُعرفُ بها، ولكلّ مجمُوعةٍ بشريّةٍ نمطُهُا في العيشِ، وذوقها الخاصّ في شتّى مجالات الحياةِ، فإنّ لوسائل الإعلام (المحلّية منها والأجنبيّة) دورٌ كبير في نقل ذلك كُلِّه إلى المُتلقِّي من:

آراءٍ وأفكارٍ واِتّجاهات ثقافيّة وأنماطٍ اِبداعيّةٍ وصورٍ فنّية، إلخ... فَمِن خلالها يُمكن تعزيز القيم السّائدة في المجتمع واِنعاش مظاهرها وتدعيم الهُويّة المُتجذِّرةِ فيه واِثرائها وِقائياً. كما يُمكن –على العكس منْ ذلك – هدمُ القيم الموروثة واِعدامها بقطيعةٍ مُستبدلةٍ، واِيجاد قيم جديدة مستحدثةٍ، قد لا تتناسب مع العادات والتّقاليد المُتأصّلةِ في المُجتمع الإسلاميّ.

### المطلب الأوّل: نماذج التّطويع في الإعلام الغربي لتشويه صُورة المُجتمع الإسلاميّ

إنّ عمليات التّطويع الإعلاميّ الّتي تُمَارس بحقِّ الكثير من القضايا العربيّة والعالميّة، تُعْتبر وسيلةً لكسب الرَّأي العام لتحقيق الأغراض المرجوَّة من الطّرف المضلّل، والّتي غالبا ما تكون ذات أهداف سياسيّة أو اِقتصاديّة؛ للسّيطرة على مدّخَرات حياتيّة اِستراتيجيّة، أو للهيمنةِ على حضارات دولٍ كثيرة، بالإضافة إلى تهميش المجتمعات من أجل اِختراقها بصورة يسيرة وبأقلِّ الخسائر أو الأضرار الماديّة المُمكنة.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

ولا يمكن إغفال دور الجهات المُدعِّمة للمادّة الإعلاميّة، من أهل السِّياسة ورجال الأعمال وغيرهم...؛ فهؤلاء بما يُقدّمونه من دعمٍ مادِيّ أو معنويّ بإمكانهم من خلال كلّ ذلك التّحكُّم في طريقة عرض بعض القضايا على الجمهور، مثل: "قضية صورة العربيّ المسلم" أمام المُجتمعات الغربيّة، الّتي – غالباً ما– تتعمَّد بعض وسائل الإعلام جعلها قضيّةً مُنكرةً في حدّ ذاتها، لإهانة الشّخصيّة الإسلاميّة إلى درجة تستوجب النّفور منها، وذلك– مثلاً – عبر عُروضٍ دراميّة، يتمُّ فيها إظهار المُعتدي الغربيّ وكأنّه ضحيّة براءةٍ، وموضع سطوٍ همجيّ من قبل ذاك المُسلم، الإرهابيّ المُتوحّش، وما دور خصمه الغربيّ إلاّ دور حضاريٌّ تنويريٌّ مدنيّ قُوبل بالجفاء والصّد وربّما بالجرم والإهانةِ النّكراء.

وحتّى في صورةِ تغلُّب الرّجل الغربِيّ على خصمه المعروف "بالشّرقِيِّ المُسلم" (المُتخلِّف حسب الزَّعم المُروّج لهذا الإعتقاد الباطل)، فإنّ الصّورة تُلمّعُ لصالحِ الرّجل الغَربِيِّ، صاحب الهمَّة العالية، لِتُظهرهُ في موقفٍ دفاعيٍّ بُطوليٍّ مُدهشٍ، رمزاً للشّجاعة الخارقةِ والإقدام الجريء والبسالةِ النّادرةِ المُستدعيةِ للتَّبجيل، وجلب الإحترام والنَّخوةِ على منْ هوُ دُونه مكانةً وتطوُّراً.

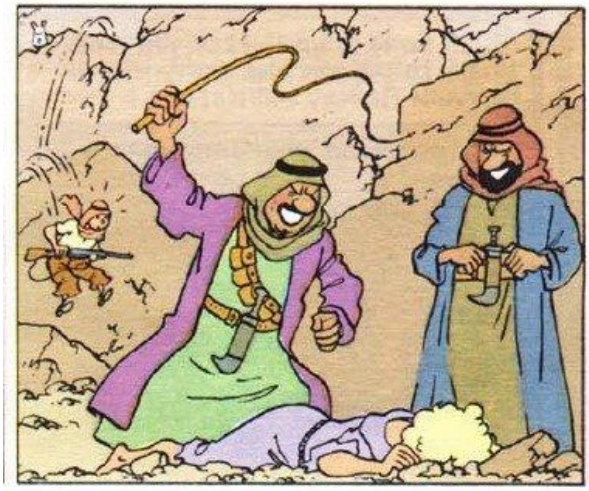
وكثيراً ما يُروّجُ هذا الفكر على الشّاشة الصّغيرة، بِحبكَةٍ مُحكمةٍ ووسائل جذَّابةٍ، برّاقةٍ عن طريق الأفلام الكرتونيّة، الّتي تُقدّم للأطفال الصّغار في شكل صُورٍ مُتحرّكة، سهلة الإستهلاك. وعن طريقها يقعُ دسُّ السُّم الزُّعاف في الدّسم؛ وذلك بغرس عقلية العِدَاء الهدّامةِ وتجذير الكراهيّة المُستدامة، في نُفوس البراعم الأبرياء، لتصبح –فيما بعد– صورةُ "الرّجل الشّرقيّ المسلم" في أذهان النّشء راسخةَ قناعاتٍ مُستقبَحَةً عَبر الأجيال الصّاعدة المُتلاحقة.

ولقد ظلّت صورة المُسلم في المِخيال الغربيّ –بفعل الدّعاية الإعلاميّة – مُقترنةً عبر حقبات طويلة من التّاريخ، رغم تغيُّر الظُّروف والأحوال، والتّطوّر الزّمنِيّ بصورة العربيّ البدويّ، الأمِّيّ، التّائه على ناقته، الهائمِ بين الرّمال، يجُوبُ الصحراء، بحثاً عن الماء والكلأ ولا شيء في دماغه سوى الغَواني الرّاقصات شبه العاريات وتحيُّلات السحر والشّعوذة.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891




ترمي هذه الرسوم التّابعة لسلسلة الروايات TinTin أنّ المسلمين –حسب زعمهم– على الرّغم من صلاتهم الّتي من المفروض أنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا أنّها لم تردعهم عن الكلام البذيء وعن العنف.



مشهد يريد صانعه التّرويج لفكره العنف ضدّ المرأه عند العرب والمسلمين بصفة خاصّه. والحال أنّ الدّين يدعو إلى الرّفق بالقوارير.

*www.tintin.com/fr/albums/le-crabe-aux-pinces-d-or-*

*Le Crabe aux pinces d'or (1941)*

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891




هذا المشهد مُفعم بالدّلالات السيميائيّة لتّرويج صورة نمطيّة عن العرب والمسلمين

ولا يبتعد كثيراً الإنتاج الإعلاميّ الغربيّ، في الزّمن الحديث بدايةً من التّسعينات، عن اِعتناق هذه الصّورة المُستقبحة للمسلمين، بل لعلّها اِزدادت تشويهاً في السّنوات الأخيرة، بعد أحداث التّفجيرات الإرهابيّة في شتّى أنحاء العالم، الغربيِّ منه على وجه الخُصوص؛ فإنّ مُعظم العرب أو المسلمين العرب، لاَ يُقدَّمُون في وسائل الإعلام إلاّ في مظهر الإرهابيّين، وقد ساءت سُمعتُهم شرقاً وغرباً، ولحقتهم لعنةُ الإرهاب والإجرام أيْنما حلُّوا. وفي كثيرٍ من الأحيان دُون تميّزٍ بين الغثِّ والسَّمين.

ولقد اِنعكس هذا الوصف المُحنَّطُ كذلك على الصُّور النّمطيّة والتّعليقات الّتي تُقدّمُها وسائل الإعلام الأمريكيّة، ممّا أدّى إلى ربط "الإرهاب" بالمُسلمين والعرب عُمُوماً، وتعزيز روحٍ "وطنيّة" باتت تميل نحو منحى العُنصريّة، وليس إلى التّمسّك بقيم الدّيموقراطيّة كما يدَّعي منْ يزعمُ الاِنتماء إليها *(حمود، عبد الحليم، الإعلام التّضليلي دور الدّعاية والإعلان الغربيّة في تشويه صورة الإسلام، ص.١٦٦)*. وكذلك نرى أن الدّيمقراطيّة والحريّة والكرامة الإنسانيّة، هي –في حقيقة الأمر– مبادئ سامية، توضع –مع الأسف الشّديد– على الرَّف كلّما كان ذلك مناسِبا لطرفٍ قويٍ.

وفي هذا المجال يسوق نبيل دجّاني *(نبيل الدجاني، عالِم اِجتماع إعلامي لبناني، يركز على دراسة وبحث دور الإعلام في الشرق العربي: www.aub.edu.lb/fas/soam/media_studies/Pages/NabilDajani.aspx)*

حادثة في الغرض يستهلّها بقوله: هذا نصُّ رسالة البريد الإلكتروني اِستلمتها أخيراً:

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

هاجم كلب شرس طفلاً في حديقة بمدينة نيويورك، ورأى أحد المارّة ما حدث فهرع للمساعدة، وانقضّ على الكلب الشّرس وقتله". صحافيٌّ في إحدى الصّحف المحليّة من نيويورك شاهد ما حصل، وأخذ بعض صور الحادثة ليضعها في الصّفحة الأولى من الجريدة الّتي يعمل بها. اِقترب الصحافيّ من الرّجل، وقال له شجاعتك بُطوليّة، وسوف تُنشر في عدد يوم غد تحت عنوان "شُجاع من نيويورك يُنقذ ولداً" فأجابه الرّجل أنّه ليس من نيويورك، فقال الصّحفيّ، في هذه الحالة سوف يكون المقال تحت عنوان: "شجاع أميركيّ أنقذ ولدًا من كلبٍ شرس"، أجاب الرّجل أنّه ليس أميركيًا كذلك، وأنّه من باكستان.

وفي اليوم التّالي صدرت الصّحيفة، وكان عنوان الخبر، في الصّفحة الأولى: "**مُسلم متطرّف ينقضُّ على كلبٍ في حديقةِ نيويورك، ويُوْدي بحياته**" (دجّاني، نبيل، مع آخرين، العرب والإعلام الفضائي، ص.٧٧).

يبدُو واضحاً –وللأسف الشّديدِ– في مُعظم الحالات، حتّى لا يُقال في جميعها، أنّ المسلمين هُمْ من تُوجَّهُ نحوهم أصابِع الاِتّهام لِيكُونُوا– دائماً – محلَّ الحيطة والحذر، يَتجنبُ القُربَ منهم كُلُّ أمريكِيٍّ، وخاصّةً عندما يكونون موضع اِتّهام، وليس عندما يكونون هُمْ ضحاياه.

فالمُسلم اليوم في الولايات المُتّحدة الأمريكيّة إذا ما أخطأ يُشهّرُ به، وتتناقل وسائل الإعلام بأنواعها خبره، وصوره وتُداسُ كرامته ويُعبثُ بسُمعته، سِيّما إذا كان من الرّجال المرمُوقين في ميدان السّياسة أو الاِقتصاد أو الثّقافة، أو غير ذلك... فيُشنّع بسيرته، الّتي تُنسج حولها الحكايات والأساطير حقًّا وباطلاً، وتلُوكُ عِرضه الأفواه بلا هِوادةٍ. أمّا إذا ما كان المُسلم يعيش مظلمةَ اِعتداءٍ صارخة، وواضحةً وُضوح الشّمس في الهاجرةِ، فلا أحد من الإعلاميّين يُعيره اِهتماماً.

وفي السّياق نفسه، في ميدان الرّياضة لا يزال إلى اليوم هذا الاِنحياز في الخطاب الإعلاميّ واضحاً جليا، فمن الأحداث الحصريّة لسنة ٢٠٢٢م تصدّر مُهاجم المنتخب الفرنسيّ ذو الأصول الجزائريّة، كريم بن زيمة واجهة كلّ المنصّات والدّوريّات الإخباريّة إثر حدثِ تتويجه بجائزة الكرة الذّهبية لأحسن لاعب في العالم للسّنة نفسها، فما كان من الإعلام الفرنسيّ إلاّ التّباهي بهذا الاِنتصار ونسبه سياسياً للرّقعة الجغرافيّة الفرنسيّة، على اِعتبار كونه "فرنسيّ" وهذا ما نصّ ما أوردته قناة "فرنسا ٢٤" *(HOUEIX, Romain, Karim Benzema remporte le Ballon d'Or 2022, Putellas sacrée chez les femmes,*

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

*france24.com, Publié le : 17/10/2022 - 16:54Modifié le : 17/10/2022 - 22:06*
*- اطّلعت عليه بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٢٠٢٢م على الموقع التّالي:*

*https://www.france24.com/fr/sports/20221017-karim-benzema-sacr%C3%A9-ballon-(d-or-suivez-la-soir%C3%A9e-en-direct*

في مقال لها:

حلّ يوم المجد لكريم بن زيمة. **الفرنسيّ**، مؤلف موسم اِستثنائيّ، ينال أرقى الجوائز الفرديّة في كرة القدم يوم الإثنين ١٧ أكتوبر ٢٠٢٢م...

*... Le jour de gloire est arrivé pour Karim Benzema. **Le Français**, auteur d'une saison exceptionnelle, s'est vu remettre lundi la plus prestigieuse des récompenses individuelles du football, lundi 17 octobre au Théâtre du Chatelet à Paris.*

بينما في مناسبات أخرى كانت تكتفي الأوساط الإعلاميّة الفرنسيّة بتقديمه وِفقَ جُذُوره العربيّة الإفريقيّة وحسب موقعه في المنتخب الفرنسيّ كلاعب كرة قدم، سيّما إذا ما وقع في خطإ رياضيّ مُحرج، فيقع تقديم الحدث باللّعب على الألفاظ للتّبرّئ منه؛ فيُكتب بخطّ غليظ في مطلع مقالات الصّحف الرّياضيّة المعنيّة ما تتصدّرُه كلمات من هذا القبيل، أو ذاك:

- مهاجم كرة القدم بالفريق الفرنسيّ المسمّى كريم بن زيمة العربيّ الإفريقيّ يرتكب خطأ فادحاً في صفوف فريق اللاّعبين أترابه...

والمُستخلص من هذين المثالين أنّ الإعلام الفرنسيّ يتباهى بِافتخارٍ فينسب اللاّعب كريم بن زيمة في حالة الاِنتصار إلى فرنسا، وفي الحالات السّلبيّة، من نوع العثرات في لعب كرة القدم، والأخطاء مهما كان نوعها يُنعتُ - تبرُّؤًا- بجذوره العربيّة الإفريقيّة؛ وفي ذلك الكثير من الاِمتعاض الخفيّ!

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

إنّ تحليل الخطاب الإعلاميّ المُروّج – في هذه الفترة – يوضّح بلا أدنى شكٍّ، أنّ المُتلقّي يقف أمام اِستراتيجيّةٍ، مخطَّط لها تتلاعب بأفكاره؛ من أجل التّرويج للهلع والخوف، وتفعيل العديد من الصُّور النَّمطيَّة تُجاه الإسلام.

هكذا اِستطاع الإعلام الغربيّ، في العقد الأخير من القرن العشرين، أنْ يَكُون العاملُ الرّئيس في مِخيال الرَّأي العام الجماعيِّ، أثناء تَكْوين الصّورة الذّهنيّة عن الإسلام والمُسلِمين، منْ نسيجه الخاصّ في أمريكا وأوروبا *(البشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، ط.١، ٢٠٠٤م)*. على حدٍّ سوى. وقد نجح هذا الإعلام في تضليل المواطن الغربيّ العاديّ، لأنّه لا يعرفُ عن الإسلام إلاّ ما تنقُله له وسائل الإعلام من صورٍ وأخبار مُختارةٍ وتحليلات وتعليقات مُوجّهةٍ، لتكوِّنَ في ذِهن ذاك المواطن العاديّ صورة مشوّهة عن حقيقة الإسلام ومحاسِن المُسلِمين.

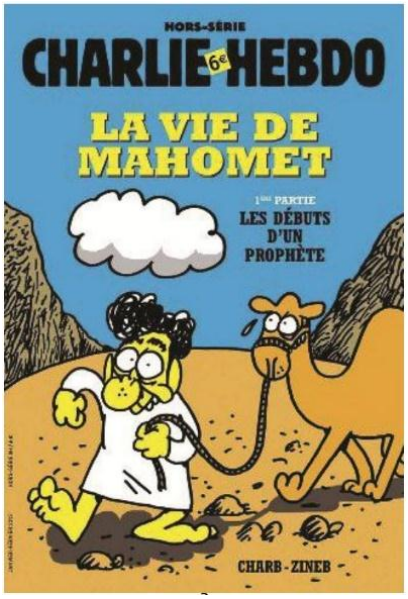
**المطلب الثاني: الأهداف من وراء التّشوهات الإعلاميّة الغربيّة**

تعملُ معظم وسائل الإعلام المُعاصرة بأنواعها المختلفة، (المكتوبة والمُصوّرة والمسمُوعةِ والمرئيّة...)، دُون هِوادةٍ ومنذُ أمدٍ بعيدٍ، على ترويج أفكار سلبيّة ومُغرِضة عن الإسلام، وتنشر صُوراً منها المُزيّفة، ومنها المُختارة عن قصد للغرض، فتحملُ في طيَّاتها مضامين خطيرةٍ جداً عن الأمّة الإسلاميّة، نحو غرس أفكارٍ عدائيّة وتشويهيّة هدّامة بالأساس، تدعُو في الظّاهر وفي الخفاء بأسلوب مُباشر أو غير مُباشر إلى تفكيك أواصل المُجتمع الإسلاميّ من الدّاخل ومن الخارج بغرس بُذُور الحذر، والكراهيّة. وليس هذا على المُستوى الأُسرِيِّ الضّيّق فحسب، بل يشملُ في أبعاده النّسيج الاِجتماعيّ ككُلّ، في مبادئه وقِيمه ومناهجه، وحتّى في شخصياته المرمُوقة عبر التّاريخ، المعروفة بالوقار والصّلاح؛ وذلك بِاستعمال شتّى الوسائل الإعلاميّة كالصُّحف، والمجلاّت الدّوريّة، وغيرها... كما أنّ التّشويه يقتحم بيُوت الخّاص والعام، عن طريق شاشةِ التّلفزيون الصّغيرة، سواء عبر القنوات المحلّية ذاتها، أو القنوات الأجنبيّة الواسعة الاِنتشار، في المنطقة العربيّة نفسها أو في غيرها.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

هذا بالإضافة إلى القضايا السّياسية والدّينية الّتي تُعانِقُ صورة الوجه العربيّ والإسلاميّ، فضلاً عن المساس بالمقدّسات الإسلاميّة، والرموز الدّينيّة الّتي تُعدّ خطوطاً حمراء لا يُقبلُ تجاوُزها، كالعبث بشخصيّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

هذا الرّسول الكريم الّذي شهِد بعظمَة رسالته حُكماء أهلُ الغرب المُنصِفُون، وقال عنه القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ *(القلم: ٤)*، وسال في شأن همّته العاليّة، ومحاسن سيرته الطّيّبة حبرٌ كثير، وتناقلتْ روائع أخباره الأممُ، عبر العُصُور المُتعاقبة شرقاً وغرباً، ولا تزال ماضيةً في ذلك. تُروّج عنه رسوم "كاريكاتُوريّة كتِلك الّتي تعرِضُها الصّورة:١




صورة: ١ – غلاف مجلة (Charlie Hebdo)، عدد ٨

Hors-série, n°8H de Charlie Hebdo, La Vie de Mahomet, 6 Janvier, 2013

كما يُمكِنُ التّأمُّلُ في الرّسم "الكاريكاتوري" التّالي (الصُّورةُ:٢)، المُفعَم سِيميائِياً بالإيحاءات المترامية الأبعاد والدّلالات.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891




صورة: ٢- صورة كاريكاتوريّة تحثّ على طرد المسلمين من أوروبا

*www.horreurislamique.wordpress.com/2013/02/10/comment-lislam-colonise-peu-a-peu-la-france*

هذا المشهد المُفعم بالرّموز السيّميائيّة يعكس العالَم الأوروبيَّ مجسّداً في تلك الفتاة المُحاربة، النّابعة من خارطة خضراء رمز الخُصوبة والنَّماء، والماسكة بيمِينها درعاً يحمِلُ هُويّتها القوميّة، وعليه شعار ديانتها المسيحيّة، الّتي تتمسّكُ بها لِحمايتها من كلّ المخاطر، وتقبِضُ بشمالها قلم حبر؛ رمزاً للعِلْمِ والمعرفة، وهي تدفع بكلّ حزمٍ، وبكلّ ما أُوتيتْ به من قوّةٍ لطرد رجلاً مركّباً تركيباً مُتعدّد الدّلالات المُطَوَّعَة للغرض المقصُود من عُمق المعاني السّيميائيّة؛ فالوجه في ظاهره لآدميٍّ، وحقيقة تركيبة الأنف والأذنين واليدين لخنزير بشِع، تجمع ملامحه في مضمُونها بين الحقارة والقذارة الحيوانيّة، وتخلُّف العالَم الإسلاميّ(حسب الرّسم)، الّذي ينتمي إليه ذاك الرّجل المُنهزم والمُستسلِم بلا مُقاومة، مُجسّداً في رايةِ الخلافة العُثمانيّة موطن الدّمويّة، والأساطير الخُرافيّة والجهل والتّأخّر، رغم ما يحمله من تعاليم رسالته السّماويّة، مُمَثّلةً في القُرآن الكريم الّذي أراد له الرّسام أنْ يكون –نهايةً في الإحتقار– تحت القدميّن.

وهكذا تكمن خطورة الرّسالة الإعلاميّة المُطوّعة عبر توجُّه عُرُوضها المُكثَّفة في ترسيخ نُفُور الرّأي العام العَالَميّ من الإسلام، ومِنَ الحاملين لمُعتقدِه، وجعل ذلك قناعةً مُوحّدة، راسخة في الأذهان، مُفادُها أنّ

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

كلّ المصائب، والمحن الّتي تتخبّط فيها الإنسانيّة مَردُّها الإسلام في حدّ ذاته، وليس في وُجود بعض المتطرّفين من بين المسلمين.

فهذا الإعلام بالشّكل الّذي وقع بسطُه، بإمكانِه أنْ يمسَّ سائر الأمم في حالات العجز والتّخلُّف، أو عند التّخاذُلِ في تقرير المصير، أو عند سيادة عقليّة الذّرائع، والتّبرير والفهم الأعوج، والتّديّن المُنغلِق، فيؤثّر فيها سلباً، ولا يُولّد في كلّ الحالات إلاّ غرس الكراهيّة والعِداء، ولا يُنتِجُ إلاّ تطرّفاً وإرهاباً.

إن سوء فهم سيميائيّة المشهد، والخطاب الإعلاميّ وغياب إدراك نواياه المُطوّعَة يؤدّي –في النّهايةِ– إلى اِلتِبَاس الأحوال وضيَاع المَعايِير، وعدم وُضوحٍ في الرّؤية حتّى لا يُقال تضليلها، وتحريفها *(حمود، م. س.، ص.٥٩)*.

ولعلّ بعض جوانب المشكلة الّتي تُعاني منها الشّعُوب الإسلاميّة، مردّها: ثمرة الاِنسلاخ الثّقافيّ، والإعلاميّ عن الإسلام؛ هذا الاِنفصال الرّهيب بين وجود تدّين عَقَدِيّ سليم، وإخلاص إيمانيّ ثابت، وبين توثّب بدون تخصّص من جانب آخر، يُقابلُه وجود تخصّص فاقد للمرجعيّة، والرُّؤية الشّرعيّة، منْ جانب ثالث. فذاك الاِنسلاخ، أو التّصحُّر في الإعلام الإسلاميّ –إنْ صحّ التّعبير– من المنطقيّ أن تكون نتائجه سلبيّةً؛ في حينِ أنَّ العكسَ منْ شأنِه أنْ يمنح المعيارَ والقدرة على بلورة رؤية، أو فلسفة إعلاميّة بنَفَسٍ إسلاميّ، اِنطِلاَقاً من أسُس الكتاب، والسُّنة، ونَبْعاً من مقاصد الشّريعة السّمحاء. وبالتّالي لا يكون الإعلام بهذا الشّكل إلاّ ناجعاً ومُفيداً وبنّاءً، يخدم مصلحةَ الأمّةِ.

ولئن كانت وسائل الإعلام قادرةً على نشر المعرفة، وتزويد النّاس بالمعلومات والحقائق الكفيلة بتوسيع آفاقهم، فإنّها تستطيع أيضًا تزييف الحقائق، ومن ثّم تستطيع أنْ تفرض على العُمُومِ مفاهيم، وآراء هابطة، مضادةً لما يتطلّع إليه الخَلُوقُ، الغَيُورُ على دينه، ووطنِهِ مِنْ تحقيق أهداف، وقيَم إسلاميّة، واِجتماعيّة ساميّة *(حاتم، محمد عبد القادر، الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، ص.٤٢)*.

هذا القصف الإعلاميّ المُطوّع الّذي يقتحم البيوت والأفكار يتَّجِه في مُعظمِهِ إلى سلب الإرادة الفرديّة، والدّخول في لون من الجبريّة الثّقافيّة. وإنّ كثيرًا من المصطلحات المبهمة والمُوهِمة تقُود المُتلقِّي (حتّى وإنْ كان مُثقّفاً، وواعياً بِمُجريات الأحداث) تقُودُهُ خلفها دون إدراك كامل لحقيقتِها وتداعياتها ومقصدها العميق، والآثار القريبة، والبعيدة المُترتّبة عليها، بحيث يُمكن القول: "بأنّ النّاس أصبحوا يعيشُون –إنْ صَحَّ

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

التّعبير– في معسكرات الأسرِ الإعلاَمِيِّ، أو في حقبة الإسترقَاق الإعلامِيّ" *(عبد الحليم، محيي الدّين، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، الأمّة، العدد ٦٤، ص. ٢٢).*

كُل ذلك وأكثر دون إعلامٍ مضادٍ، يطرح الصُّورة الصَّحيحة، أو يعمل على أقلِّ تقدير لمقاومة الهجمة والهجمات المُتكرّرة، رغم أنّ أموالاً عربيّة ضخمة يتمُّ ضخّها في ميادين كثيرة، إلاّ في خانة الدّعاية الإيجابيّة، والإعلام البنّاء، علماً وأنّ أفضل أنواع الدّعاية تلك الّتي تنطلق من الحقيقة والواقع المعيش (حمود، م. س.، ص.١٨٨).

والّذي لا يمكن إنكاره، أنّ أغلب وسائل الإعلام "العربيّ الإسلاميّ"، بما تُنتِجه من شخصيّات مهزوزة قائمة على التّقليد والمحاكاة، حيث تتنافس في كثير من الأحيان على إصدار صحف ودوريّات، مُتبنّية لأفكار دخيلة وآراء هجينة، عن واقع المسلمين؛ فتُقدّم بذلك مساحات إضافيّة لثقافة (الآخر)، ويكون نصيب الطّرف المُقابل منها التّمويل والمسؤوليّة، بعيداً عن التّفكير والإجتهاد والتّبصّر بالنّتائج والإعتبار بالعواقب. كُل ذلك دون اِستيعاب للماضي، واِستشراف للمستقبل، أو بعبارة أدقّ عمل صُحفيّ إعلاميّ بعيد عن التّفكير الإستراتيجيّ، في البناء والتّشييد لصالح الأجيال الصّاعدة، وخِدمة الأمّة الإسلاميّة أفراداً وجماعات.

فواقع الأمر هوّ أنّ الإنتاج الإعلاميّ العربيّ، في جزء كبير منه إنتاج مستوردٌ، سواء تعلّق الأمر ببرامج التّنشئة أو بالبرامج العلميّة، أو بالمسلسلات والأفلام، بالرّغم من الجهود العربيّة، – الرّسميّة منها والخاصّة– السّاعية إلى اِحتواء الظّاهرة من خلال دعم حجم الإستثمارات في القطاع السّمعيّ البصريّ، وتوسيع شبكة القنوات التّلفزيونيّة المتخصّصة، والنّهوض بالإنتاج المحلّي بما يجعله قادراً على منافسة الإنتاج الأجنبيّ؛ إلاّ أنّ هذا السّعي يختلف من بلد عربيّ إلى آخر، فمنطقة المغرب العربيّ على سبيل المثال تنتمي جغرافيّا إلى القارّة الإفريقيّة، ونجدها ثقافيّا واِقتصاديّا مفتوحة على أوروبا ممّا يؤثّر في آليات الإنتاج الإعلاميّ سواء على مستوى الوسائل، أو على مستوى المضمون، ويجعلها منسجمة مع طبيعة الصّلة الوثيقة بالبلدان الأوروبيّة، تُذكر فرنسا في المقام الأوّل.

حتّى أنَّ مخزونها التّراثيّ الإسلاميّ الذّي يُعتبَر المنجمَ الحقيقيّ للعمليّة الإعلاميّة يحتلُّ خانةً ضئيلة بالمقارنةِ مع ما يُبثُّ اِعتماداً على إعلام الغربِ. ومن هنا تبدو الخُطورة واضحةً عندما تتحوَّل وسائل الإعلام

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

لضخِّ فكرِ "الآخر"، وتصبح مجالاً لِامتداد "الآخر"، ولإنْ كانت وطنيّة في جغرافيتها، إلاّ أنَّها غريبة في هُويتها، ممّا يجعل الواقع الإعلاميّ خالياً نسبيّا من الخصائص المحليّة العربيّة الإسلاميّة؛ لذلك فإنَّ المسؤُولية هي مسؤولية تضامنيّة عامّة ومشتركة، كلٌّ في موقعه ومن موقعه، عطاءً ووقايةً. وهذا يستوجب إعادة النّظر في المادّة الإعلاميّة، ومحتواها ومضمونها بالقدر الّذي يناسب البيئة الثّقافيّة ويطوّرها.

ولا يكون التّصدي السّليم، والعلاج النّاجح لما آلت إليه صورة المجتمع الإسلاميّ عبر وسائل الإعلام إلاّ بوجود خطّة اِستراتيجيّة تتحدّد في ضوء الإمكانات المتوفّرة، والظّروف المتاحة، لوضع منهج واضح يفصل بين الإمكانيات والأمنيات.

**المطلب الثالث: تصحيح صورة الإسلام**

لا يكون التّصدي السّليم، والعلاج النّاجح لما آلت إليه صورة المجتمع الإسلاميّ عبر وسائل الإعلام إلاّ بوجود خطّة اِستراتيجيّة تتحدّد في ضوء الإمكانات المتوفّرة، والظّروف المتاحة، لوضع منهج واضح يفصل بين الإمكانيات والأمنيات.

ومنْ هذا المنظور، وجب الوعيُ بأنّ عمليات الإصلاح والتَّغيّير تبدأ من الدَّاخل: من النَّفسِ، اِستشهادًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم﴾ *(الرعد : ١١)*.

إنَّ التَّسليمَ بهذه الحقيقة، والاِعترافَ بأنّ عدم نجاح الإعلام العربيّ، والإسلاميّ في الصمود أمام الإعلام الغربيّ سببه الرّئيس الاِنغلاقُ على الذَّات، والعجز عن الاِنطلاق عالمياً، وبذلك تكون هناك مشكلة في الشَّريحة المستهدفة إعلامياً، نظراً لكون صورة المجتمع الإسلاميّ مشوَّهة عند الغرب؛ فلذلك اِستوجب العمل على اِيصال الصّورة المُثلى، والحقيقيّة عن الإسلام والمُسلمين، والعمل على تحسينها، بما تدعو له الشّريعة السّمحاء، وذلك ليس محلّياً فقط، وإنّما عالمِيّاً؛ لأنّ الإسلام دين عالمِيٌّ، وليس حِكراً على أحد، بما في ذلك العرب.

**المطلب الرابع: توصيات لتطوير المنظومة الإعلاميّة**

ويكمُنُ الحلُّ . حسب تصوّري الشّخصيّ المتواضع . في رصد مواقف وسائل الإعلام الغربيّة باِهتمام، والقيام بفتح حوارٍ صبورٍ طويل النّفس معها، وأيضًا إتاحة مداخل الاِطّلاع بالنّسبة لأجهزة الإعلام الإسلاميّ

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

حتىّ لا يَدفع بها اِنغلاقُها على النّفس لتصوّرات واهمةٍ واِجتهادات خاطئة. وتأهيلها وتيسير لها أنجع السُّبُل، بحيث تكون منافِسة لتقنيات الإعلام الغربيّ، مع الاِحتفاظ بملامح إسلامّية تحترم تميُّزها واِستقلالها، إلى جانب إعداد المادّة الإعلاميّة الّتي تُناسب طبيعة المجتمع الموجّة إليه، وتطوير الإنتاج المحلّي على أساس عقديّ ودينيٍّ وتربويٍّ سليم.

- لذلك وَجب تزويد المُتلقّي (المحليّ والأجنبيّ المُمَارَسِ عليه أساليب التَّطويع) بالأدوات الّتي تُسعِفُه في فكِّ شَفْرة مُكوّنات تطويع الصّناعة الإعلاميّة، ما يُمكّنه من مواكبة مفهوم التَّبعيَّة الفكريَّة، ومُواجهةِ الغزوِ الثّقافيّ للأمّة.
- كما يجب على المؤسّسة الإعلاميّة اليوم الاِلتزام بالحياد، ومبادئ العمل الصُحفيّ دون السّقوط في براثين التّطويع، والاِنزلاق في التّضليل لما له من تأثير سلبيٍّ على المتلقي سواء من خلال اِستغلال الصُّورة وتوظيفها، أو التّركيز على مقاطع تسجيل دون أخرى. فذلك يُقلّل من فرصةِ الفرد المُتلقيّ في أنْ يكون له رأي مستقلّ حول القضايا المثارة.

ومهما بلغت الحضارة الإسلاميّة من تطّور واِتّساع، ومهما بلغ العالَمُ من تحرّر واِنفتاح، ليشمل حواراً بين جميع الثّقافات، يبقى على وسائل الإعلام تحرّي الأمانة والحياد في المواد الثّقافيَّة الوافدة والمصنوعة محلياً، وذلك حفاظاً على الهُويّة الإسلاميّة للمجتمع؛ حيث تكمُن مسؤوليتها في الرّقابة الإيجابيّة، والتّوجيه السليم لما يُبثُّ للجمهور المتلقيّ؛ وذلك لتحقيق التّوازن المعرفيِّ، بمنع ما يتعارضُ مع القيم الدّينيّة والاِجتماعيّة، وتزوير الحقائق التّاريخيّة، وتشويش الاِتّجاهات الفكريّة الطّبيعيّةِ والأخلاقية، الّتي تُؤدّي إلى الاِنقسامات الدّينيّة والطّائفيّة. وبالتّالي تكون وسائل الإعلام مُطالبة –ليس فقط– بالحفاظ على المورُوث الإسلاميّ، بل في تأصيل وتثبيت، وإضافة كلّ ما هو نافع لدعم تطوّره الحضاريّ والثّقافيّ.

وعلى المُتلقيّ المُسلم أنْ يكون على درجة من الوعيّ تُمكّنه من التّصدّي لعمليات الاِستفزاز والاِحتلال الإعلاميّ الّذي يَستهدفُ عقيدَةَ الأمّة الإسلاميّة وقيمَها ومُقدّساتها، الّتي يُراد منها إتلافُ تاريخها، وعرقلت تقدّمها.

وعليه فإنّ مسؤوليّة الاِرتقاء بالإعلام العربيّ، وتسخيره لخدمةِ المجتمعات والقضايا العربيّة في العالم العربيّ و لدى الغرب مسؤوليّة جماعيّة، يجب اِستثمارُها على النّحو الأمثل من أجل:

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

- الإرتقاء برجالِ الإعلامِ العرب (المسلمين) إلى مستوى نظائرهم في الغرب.
- بناء أساطيلَ إعلاميّة تقف في وجه الإعلام الغربيّ لتبُث روح الأمل، والتّفاؤل في نفسيّة المواطن العربيّ.
- تصحيح الصّورة المُشوّهةِ الّتي يريد الإعلام الغربيّ ترسيخها في العالَم عن الإسلام، والمسلمين (العرب على وجه الخُصُوص).
- إظهار الوجه المشرق، والصّادق لكلّ ما يحصل في عالمنا الإسلاميّ والعربيّ.

وأخيراً يبقى التّساؤل المُتواترُ، والمُحيّرُ قائماً:

هل المُتلقّي للمادّة الإعلاميّة هُو فِعلاً "ضحيّةُ اِستقطابٍ" في أيْدي المُطوّعينَ؟

أم هو – في واقع الأمر – مُساعدٌ فذٌ، ومُحرّكٌ أسَاسيٌ لِكُلّ مَا يُحيكُه الإعلاميّونَ لهُ، يَسعَى بدورِه طَوعاً، أو كَرهاً لِجعْلِه من مقاسِه لِما هُو عليْه مِن اِستعْدادِ التَّقَبُّلِ، وسَذاجَةِ تَغْيّيبِ الفِكر الإراديّ، والتّدبُّرِ الرّصينْ، فِيما هو غَثٌ وسمينٌ، برُوحٍ نقديّةٍ بنّاءةٍ؟ وهل يبدأ إصلاح واقعنا الإعلاميّ بنا، أو بإعداد جيل الغدّ الإعداد الأمثل؟

### ❖ قائمة المصادر والمراجع

**- المُؤلّفات العربيّة**


- آريفيه، ميشال، وآخرون، السّيميائيّة أصولُها وقواعدها، تع. بن مالك رشيد، منشورات الإختلاف، الجزائر، د.ط.، ٢٠٠٢م.
- البشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، ط.١، ٢٠٠٤م.
- برنار، توسان، ما هي السيميولوجيا، تع. محمد نظيف، إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، ط.٢، ٢٠٠٠م.
- حاتم، محمد عبد القادر، الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط.٣، ١٩٩٤م.
- حمود، عبد الحليم، الإعلام التّضليلي دور الدّعاية والإعلان الغربيّة في تشويه صورة الإسلام، مركز الدّراسات والترجمة، بيروت، لبنان، ط.١، ٢٠١٠م.
- خيّاط، يوسف، معجم المصطلحات العلميّة والفنّية، عربي فرنسي انجليزي لاتيني، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د. ط.، د.ت.

ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891


- الدّاهي، محمد، سيميائيّة التّطويع، عالم الفكر، العدد١، مج. ١٠، ٢٠١١م.
- دجّاني، نبيل، مع آخرين، العرب والإعلام الفضائي، مركز الدّراسات والوحدة العربية، بيروت، ط.١، ٢٠٠٤م.
- شفيق، حسنين، التّضليل الإعلامي والغيبوبة المهنيّة، دار فكر وفنّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع،٢٠١١م.
- طائع، محمد طلعت، تأثير وسائل الاعلام على الفرد والمجتمع بين التوجيه والتّحليل للتّوعية والتّثقيف، موقع: www.mkleit.wordpress.com
- عبد الحليم، محيي الدّين، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، الأمّة، العدد ٦٤، الدّوحة، ١٩٩٨م.
- ابن منظور، لسان العرب، مج. ٨، دار صادر، بيروت، لبنان، ط.١، ١٩٩٠م.
- تأليف جماعة من كبار اللّغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، ط.١، ١٩٨٩م.

- **المُؤلّفات الأجنبيّة**

- Hors-série, n°8H de Charlie Hebdo, La Vie de Mahomet, 6 Janvier, 2013.
- GREIMAS A.J. & COURTÉS J., Sémiotique Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1986.
  www.library.islamweb.net
- www.mkleit.wordpress.com
- www.aub.edu.lb/fas/soam/media_studies/Pages/NabilDajani.aspx
- www.horreurislamique.wordpress.com/2013/02/10/comment-lislam-colonise-peu-a-peu-la-france
- www.france24.com/fr/sports/20221017-karim-benzema-sacr%C3%A9-ballon-d-or-suivez-la-soir%C3%A9e-en-direct